جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار **السنة الجامعة : 2023 – 2024**

المستوى : ماستر1 السداسي : الأول التخصص: الصيانة والترميم

عنوان المقياس: تاريخ الأبحاث الأثرية في بالجزائر

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: الأبحاث الأثرية في فترة ما قبل التاريخ في الجزائر1

الأبحاث الأثرية في فترة ما قبل التاريخ في الجزائر1

موقعا الجلفة وتيبازة الأثريان

لم تكن بدايات الأبحاث الأثرية عموما، وأبحاث ما قبل التاريخ خصوصا، بشمال إفريقيا ناتجة عن تفكير مسبق ولا عن اختيار مقصود، وإنما نتيجة مباشرة للمد الاستعماري. يتجلى ذلك في العلاقة الطردية المتينة بين تقدم الأبحاث، لاسيما فيما يخص جمع المعطيات، ووتيرة التوسع..

مرت الأبحاث الأثرية الأولى بمرحلة تمهيدية، تمثلت في الاستكشافات الفرنسية الكبرى [20]التي كانت تهدف إلى جمع أكبر قدر ممكن من المعارف المتعلقة بالمحيط، بمفهوميه الفيزيائي والأنثروبولوجي، والتي استنتج على إثرها الفرنسيون أنه بالإضافة إلى الغزو فإن هذه البلاد مصدر علم ومعرفة.

ليس لأبحاث ما قبل التاريخ في الجزائر إشكالية محددة، نظرا لارتباطها الدائم بالاحتلال، إذ وجه الاهتمام إلى الإكتشافات التي لها صدى في أوروبا، وإلى دعم فكرة تواجد مشروع ومنطقي لفرنسا في شمال إفريقيا ،[22]فاعتمد فيرو Féraudمثلا على تسمية المعالم الميقاليتية التي عثرت في منطقة الجلفة بالسلتية في ترسيخ نظرية تواجد السلتيين قديما بشمال إفريقيا ،[23]كما أقر الطبيب روبو Reboudأن دولمانات هذه المنطقة قبور لجنود من السلت)البروتون أو القول(بعد تصنيفه للفأس الذي اكتشفه قربها بالنمط السلتي.

وضعت أبحاث ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا كذلك كامتداد للأبحاث الفرنسية في نفس المجال ،[26]حيث أثر ذلك سلبا على الموضوعية العلمية، حيث اعتمدت منهجية العمل على تثمين كل الآثار الشبيهة بما وجد بأوروبا.

تفطن بعض المهتمين، مع تعدد الأبحاث، لهذا التشبيه المفرط وعمدوا إلى التشكيك في كل المصطلحات المدعمة لهذا التوجه ،[28]على غرار لوتورنو Letourneux[29]و دوزور Desorو كارتلهاك Carriere وكاريير Cartailhac و دوميرفDoummergue .

يمكن القول أن الأبحاث الأولى في هذا المجال انقسمت إلى ثلاثة محاور رئيسية وهي على الترتيب: المعالم الجنائزية والبقايا العظمية الإنسانية والصناعة الحجرية. إذا كانت المقاربة المنتهجة في المحور الأول اعتمدت على إنساب هذه المعالم إلى محتل أوروبي قديم، فإن دراسة البقايا العظمية الإنسانية كادت تتشابه مع نظيرتها الأوروبية مع تأويل نسبتها لأصول

أوروبية كذلك. أما الصناعة الحجرية فوضعت متزامنة مع الصناعة الأوروبية، مع إمكانية تأخيرها طبقيا إن أمكن.

تطرقت مقالات قليلة إلى الجانب الأثري لمنطقة الجلفة خلال النصف الثاني من القرن 19، التي خصصت جانبا لآثار ما قبل التاريخ، على غرار روبو Reboud الذي علق على المعالم الجنائزية الموجودة بالضواحي القريبة لقرية الجلفة.

اهتم هارتماير Hartmayer كذلك بالمعالم الجنائزية لضواحي الجلفة من حيث تنميطها ومرفقاتها ودرجة حفظها، كما درس موقعا أثريا ذات طبقية بضواحي قرية مسعد، الذي يحتوي على صناعة حجرية وبقايا عظمية حيوانية، بالإضافة إلى التقاطه لبعض الصناعة الحجرية الصوانية، منها رؤوس سهام، في ضواحي قريتي الجلفة ومسعد[2]. كما ذكر بيرنار Bernard معالم جنائزية ونقاط أثرية ذات صناعة حجرية على السطح في أماكن عديدة من منطقة الجلفة شكل أطلس قزال Gsell الأثري قفزة نوعية في إبراز أهمية منطقة الجلفة على غرار مناطق أخرى، من حيث رصيدها الأثري عموما ومخلفاتها الراجعة لما قبل التاريخ خصوصا، إذ قام بجرد مفصل للمواقع والنقاط الأثرية على خرائط الجزائر الشمالية بسلم 200/1ألف، مع نصوص توضيحية قيمة[4].

ارتكزت الأبحاث، خلال النصف الأول من القرن 20 على جرد ووصف محطات الفن الصخري، حيث قام فلامون Flamand لامثلا بدراسة مفصلة للفن الصخري لمحطتي ضاية السطل وقصر زكار مع حوصلة لتاريخ أبحاث منطقة الجلفة عن الفن الصخري[5]. ذكر بيري Perretبدوره ثلاث محطات للفن الصخري في خريطته للنقوش والرسومات الصخرية في شمال إفريقيا وهي: ضاية السطل و زنينة و قصر زكار. تطرق فوفريي Vaufrey كذلك، في كتابه عن الفن الصخري في شمال إفريقيا، إلى المحطات التي تحتويها المنطقة ومضامينها [7].أما بيلان ،Bellin فقد تناول الفن الصخري الموجود بمرتفعات أولاد نايل، حيث جرد ورفع ووصف النقوش الصخرية التي اكتشف بعضها والبعض الآخر بيري سنة ،1937على غرار محطتي صافية بورنان و ضاية السطل.

استمرت الأبحاث بالمنطقة، خلال النصف الثاني من القرن20 مع محاولة التخلص من عادة اكتشاف ووصف محطات الفن الصخري فقط من دون شواهد أثرية أخرى، إذ حاول لوتييلو Lethielleux جرد مواقع ما قبل التاريخ وفجر التاريخ الموجودة بمنطقة الجلفة ،[9]كما اهتم

قريبينار Grébénart بآثار الوجهين القفصي والنيوليتي المتناثرة في ضواحي مسعد، وكذا مخلفات العصر الحجري الحديث في ضواحي مدينة الجلفة.

حظي الفن الصخري، خلال هذه الفترة، بدراسات عديدة، حيث تطرق لوت Lhoteمثلا إلى التمثيلات الصخرية بالمنطقة في كتابه عن النقوش الصخرية في الجنوب الوهراني. أما الباحثان هوارت Huardو ألار ،Allard فقد قاما بجرد ودراسة كل هذه التمثيلات الموجودة في 43محطة أثرية[14]. أما الباحثة حاشيد، فقد حاولت وضع تأريخ نسبي لهذه النقوش[15]. خصص لوت Lhote بدوره كتابا مفصلا وشاملا عن دراساته للنقوش الصخرية في مرتفعات أولاد نايل وضواحي الجلف[16]

يعتبر عمل الباحث رابحي [17]من أحدث الأبحاث عن المنطقة، والذي اعتمد فيه على جملة من المناهج الجديدة، والمتبعة في علم الآثار الحديث، المتمثلة أساسا في الوصول إلى استنتاجات عن حياة الإنسان القديم اعتمادا على تحليل أثري منبثق من تحليل جغرافي وفضائي، ناتج بدوره عن معالجة معطيات دراسة ميدانية بمقاربة جغرافية بحتة، عن طريق استعمال تطبيقات نظام الإعلام الجغرافي. استطاع هذا الباحث، من خلال نتائج عمله الرائد في الجزائر، وضع نموذج موثوق به للدراسات الأثرية بمقاربة جغرافية أو ما يسمى بعلم الآثار الجغرافي (،Archéogéographie)وإزالة الغبار عن إشكاليات معقدة عن التعمير البشري خلال فترة فجر التاريخ في منطقة الإدريسية خصوصا والأطلس الصحراوي عموما

.منطقة تيبازة:

تزخر منطقة تيبازة بمواقع مهّمة تعود إلى فترة ما قبل التاريخ بالرغم من نقص الأبحاث ميدانية فيها، فإنها قدمت معطيات معرفية ساهمت في التعرف على بعض الحضارات التي مرت على المنطقة، وقد عكف القليل من الباحثين على البحث منهم بالو وكامبس ومارشون وبراهيمي، وبفضل دراستهم تمكن الأثريون من معرفة الاستيطان البشري الذي شهدته المنطقة، حيث اكتشف مارشون مواقع عديدة.

زمن خلال أبحاث الفرنسيين السابق ذكرهم نلاحظ أنّ المنطقة شهدت جميع الحضارات ابتداء من العصر الحجر القديم بمختلف فتراته وصولا إلى العصر الحجري الحديث، ثم عصر فجر التاريخ.

فبالنسبة للعصر الحجري القديم الأسفل فقد قدمت لنا الأبحاث عدّة مواقع أثرية تتمثل في أربع نقاط اكتشفت فيها ذوات الوجهين، لكن بالنسبة للعصر الحجري الأوسط فقد تعرفنا على عدد قليل من المواقع مثل موقع كوني الذي يبعد بحوالي 20كلم شرق مدينة تيبازة وموقع سيدي السعيد المحاذي لتيبازة حيث تم العثور في الطبقات الطينية على أدوات عاتيرية وموستيرية مما يؤكد على الاستيطان البشري لسواحل المنطقة،

أما بالنسبة للعصر الحجري المتأخر فقد شهدت المنطقة حفريات مهمة في موقع راسل بشنوة الذي يعود إلى 12000 سنة ق.م ونسبت إلى الحضارة الإيبيرية المغربية، ومن أهم ما تم العثور عليه في مواقع راسل ورولاند[1] بقايا عظمية بشرية غير مكتملة، وقد قام كل من مارشون وروبي بحفريات بجوار مغارة رولاند أفضت إلى العثور على بقايا صناعة حجرية مثل الحكات والمكاشط والنصال وأيضا بقايا عظام بشرية وشقف فخارية ملونة وأخرى تحمل زخارف بدائية، وقد نشرت نتائج البحث خلال السنوات 1931-1932 و1935، حيث نسبت إلى الحضارة الإيبيرية المغربية، ومن خلال الأدوات الحجرية والقطع الفخارية التي تم العثور عليها في موقعي كوالي[2] وراسل[3] وتم التحقق من انتسابهما إلى العصر الحجري الحديث، ومن المواقع التي اكتشفها مارشون موقع راس الأبيض سنة 1932 على بعد 5 كلم شرق شرشال وموقع بحيرة حلولة سنة 1933 الذي يقع بين سيدي راشد والحطاطبة.

[1] - عبارة عن مغارة تقع على بعد حوالي 100م من مغارة راسل شرق رأس شنوة وعلى بعد حوالي 5 كلم غرب تيبازة، وقد تم اكتشافها من قبل Abbé Grandidier،الذي عثر على أدوات حجرية وبقايا عظمية أثناء إجرائه لحفريات بحثا عن آثار قديمة، وقد قدم مارشون وصفا مهما لهذه المغارة التي كانت ملكا خاصا لرولاند.

[2] - ويسمى أيضا عين تقوريت يقع على بعد 2كلم شمال تيبازة، وقد تم اكتشافه والبحث فيه في إطار برنامج بحث أثري من قبل البعثة الأمريكية سنة 1947، وتم التعرف على طباقية مهمة مشكلة من ثلاث مستويات.

[3] - عبارة عن مغرة تقع في حوافي جبل شنوة بالقرب من الطريق الوطني الساحلي الرابط بين تيبازة وشرشال على بعد 6 كلم غرب تيبازة نسبت المغارة إلى مالك الأرض راسل، أجريت فيها عدة جفريات ابتداء من سنة 1959 إلى غاية 1965 من قبل فرقة بحث من مركز CRAPE، ومن بينهم كامبسCamps وفبابريرFabrer وكيرتسCurtes وتيكسيي Texier ، وواصل الحفريات في هذا الموقع براهيمي خلال السنوات 1966-1967-1968. وتم التعرف على مستويين العلوي والسفلي، فعثر في العلوي على أدوات حجرية مختلفة وشقف فخارية تعود إلى العصر الحجري الحديث، وأما السفلي فاكتشف فيه أدوات حجرية مختلفة ومتنوعة يعود تاريخها إلى حوالي 14000سنة.